المستوى: السنة أولى جدع مشترك	المقياس: مدخل إلى علم الأثار
أستاذ المقياس: الدكتور التجاني العمودي	المحاضرة : الأولى

موضوع المحاضرة: مفاهيم و تاريخ نشأة علم الآثار

مفاهيم عامة :

تختلف التعريف لهذا العلم حسب المدارس و لكنها تتفق في الأخير على أن علم الآثار هي ترجمة لكلمة أركيولوجيا(Archéologie / Archaeology)

أ- التعريف اللغوي: أصل الكلمة إغريقي و هي مركبة من كلمتين:

أركايوس (Arkaios) و معناها القديم (العتيق)

لوقوس : (Logos) و معناها العلم أو المعرفة ، و يعتبر اليونان أول من استخدم هذه الكلمة لدلالة على دراسة المخلفات القديمة التي تركها الإنسان من وراءه، ثم استخدمت عند الرومان للدلالة على التاريخ القديم.

ب – التعريف الاصطلاحي: يدرس علم الثار البقايا والمخلفات المادية للإنسان، من هياكل عظمية وعمائر وصناعات على اختلف أنواعها،زيادة على ذلك فهو يهتم أيضا بدراسة المحيط الذي كان يعيش فيه الإنسان، وما يرتبط به من ظواهر طبيعية، كالزلازل والبراكين والفيضانات والمناخ والتضاريس، باعتبار أن لها تأثير مباشر في حياة الإنسان واستقراره، ومن ثم من الضروري دراستها، ونفس الشئ بالنسبة للثروة النباتية والحيوانية التي ألفها الإنسان واستأنسها ، ومن ثم لا يمكن حصر مجال علم الثار في دراسة البقايا الصناعية والفنية والعظمية للإنسان، بل لبد من توسيع افقه ليشمل الإنسان ومخلفاته والبيئة التي عاش فيها، ليتعرف في الخير ومن كل ذلك على مختلف جوانب حضارته الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، وذلك بالاستعانة بالتقنيات الحديثة و منهجية محددة.

نشأة و تطور علم الآثار:

أولا:على مستوى الملوك و الأباطرة و الحكام:

لقد سبق الاهتمام بالآثار و جمعها ظهور مصطلح اركيولوجيا، فيعدّ الملك البابلي نابونيد (نابو- نا - ئيد) في القرن 6 ق. م (حكم في الفترة البابلية المتأخرة بين 556 – 539 ق.م) أوّل من اهتمّ بجمع الآثار و التحف القديمة.

غايوس يوليوس قيصر (حكم روما في الفترة بين 49 – 44 ق.م)_الذي يقول فيه استرابو بأنه كان مولع بجمع التحف القديمة خاصة الحجار الكريمة المنقوشة.

هادريان هادريانوس (Hadrianus) (حكم روما في الفترة بين 117 – 138م)_أيضا من المهتمين بالآثار القديمة، ويذكر بأنه قام بتجديد وتزيين منشآت معمارية كبرى إغريقية، وبنى في قصره مدرسة وأكاديمية ورواقا لحفظ الرسوم، وأول من انشأ متحفا للهندسة المعمارية ومتحفا للنحت.

في العصر الإسلامي فان الاهتمام بقي مستمرا عند الأمراء والسلاطين، فقد عمدوا إلى جلب وجمع البقايا الأثرية القديمة وإعادة استعمالها في بناء منشآتهم الجديدة وتزيينها كالعمدة والتيجان، وأحيانا احتفظوا بعمائر وأعادوا استعمالها دون تهديمها، وأحيانا أخرى لم يتعرضوا لمعالم أثرية لتصل إلينا سالمة من أي تخريب.

ثانيا:على مستوى الكتاب والمؤرخين و الرحالة والجغرافيين:

يعدّ هوميروس الذي عاش خلال القرن 5 ق م أب علم الآثار و أوّل من ضمن كتاباته معطيات و وصف جدّ هام لمعالم أثرية فقد قدم في ملحمتي " الإلياذة والأوديسا" وصفا لبعض الأماكن والأحداث التي سبقت عصره.

المؤرخ الإغريقي ثيكوديدس(Thukydides) القرنين 5-4 ق.م الذي قدم وصفا لتاريخ الإغريق منذ البدء في كتابه عن الحروب "البلوبونيزية"، وقد أشار بإيجاز إلى البحرية اليونانية وهندسة البناء وطرز الملابس وأنواعها والأثاث الجنائزي.
ثم زاد الاهتمام بالآثار خاصة عند المؤرّخين، مثل الكتاب: بلينوس و ديودوروس الصقلي و فيتروفيوس خلال القرن الأوّل ميلادي.
بعض الكتابات الكلاسيكية تعتبر مصدراً هاما في دراسة الآثار، وفي نفس الوقت رغم كونها لا تتحدث عن الحضارة القديمة فقط، إلا أنها تقدم وصفا دقيقا ومعاصراً لبعض المدن وبعض آثار بعينها، مثل ما قدمه المؤرخ اليوناني بلوتارك ((Plutarch الذي عاش نحو (46 - 120 م) الذي كتب عديد من المؤلفات مثل الحياة المقارنة (The Parallel Lives)والأخلاق (Moralia)وهذا الكتاب متعدد الموضوعات الاجتماعية والطبيعية والفنية والأثرية.
وتأتي كتابات سترابون(Strabon) والذي يسبق بلوتارك حيث عاش في (64 ق.م- 19 م)، أحد الخطوات الهامة لوجود علم الآثار الوصفي، إذ قدم في كتابه الجغرافيا (Geographica) الذي يقع في سبعة عشر كتابا، وصفا كاملا لتاريخ واقتصاد وجغرافية البلدان التي تقع في نطاق الإمبراطورية الرومانية، معددا التطور التاريخي والاقتصادي، وكل ما هو مميز في عادات الشعوب وتقاليدها وطبيعتها وحيواناتها، وكان كتابه هذا يدرس في مدارس أوروبا في العصور الوسطى، ولا يزال هذا الكتاب يمثل حجر الزاوية للأثريين المحدثين في دراسة آثار بلد بعينها لما به من وصف دقيق.
تأتي كتابات الرحالة الإغريق الرحالة بوزانياس (Pausanias)الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، حينما اهتم الإغريق بتراثهم باحثين عن إنجازاتهم وإسهاماتهم في الحضارة، بعد أن فقدوا مركز الصدارة الذي تبوأته روما، ويعتبر كتاب وصف اليونان (Hellados Periegesis)، ولعل أهم ما يميز كتابات بوزانياس أنه يصف ما يراه بعينه خلال رحلاته، وقدم فيها وصفا للآثار الباقية من حضارة اليونان، وجاء محايدا في وصفه وواقعيا ، بنفس المنظور والمنهج الوصفي الذي بدأ به علم الآثار جاءت الكتابات الرومانية الكلاسيكية، ويأتي على رأس الكتابات ما كتبه الكاتب الروماني" فيتروفيوس" Vitrovius حيث كتب كتابا عن العمارة (De Architectura) يقع في عشرة كتب، استعرض فيه تطور هندسة البناء من مواد وطرق بناء وتقنيات، كما تناول أيضا نظم تغذية وصرف المياه والميكانيكا والساعات المائية، كما تعرض أيضا للمباني المختلفة وعمارتها مثل المسارح والمنازل والمعابد والمواقع وغيرها من المعلومات التي تتعلق بالبناء والعمارة .
في العصر الإسلامي فان الاهتمام بقي مستمرا سواء عند الكتاب، فان الكثير منهم – خاصة الرحالة والجغرافيين- من جاءت نصوصه مطعمة بأوصاف لمعالم أثرية وأطلال مدن قديمة وأوصاف دقيقة لمنشآت معمارية، ومنهم الإدريسي والمقريزي والمقديسي وابن رسته والبكري، ومن الكتاب من دعا إلى حفظ الآثار وصيانتها، كابن خلدون و عبد اللطيف البغدادي، باعتبارها من تراث الأمة.

ثالثا:على مستوى المنهج العلمي الأثري :

بدأ الاهتمام بعلم الآثار يزداد خلال القرن الرابع عشر، وأن كانت بدايته من أفراد، وتركز الاهتمام بالآثار الكلاسيكية، ويمكننا القول إن هذه الفترة كانت فترة اهتم فيها أفراد بعلم الآثار دونما منهج علمي ينظم عملهم، أي أنه كان هناك أثريون ولم يكن هناك علم للآثار، وفي مقدمة هؤلاء يأتي الخطيب الإيطالي "كولا دي ريانزو" (Cola di Rienzo)الذي كان يبتغي توحيد إيطاليا اعتمادا على الثقافة اللاتينية القديمة ومخلفات الحضارة القديمة من عمارة وفنون ووثائق.
جاء بعده "سيرياك دانكون" وكان يجوب المراكز الحضارية القديمة في اليونان وإيطاليا وكان شغوفا بالكتابات والنصوص القديمة وقد سجل ما وجده في ست مجلدات جميع ملاحظاته وترجمة وشرح كل ما رآه.
بينما في القرن السادس عشر ساد اهتمام في الأوساط الراقية في المجتمع الايطالي باقتناء مجموعات من العاديات والتحف الفنية التي صارت فيما بعد نواة للمتاحف المختلفة، كما شهد هذا القرن اهتماما بالغا بطبوغرافية روما القديمة. تبقى الريادة الفعلية في هذا القرن للعلماء الفرنسيين، وكانت أولى الإسهامات الفعلية على يد "نيكولا كلود فابرن يرسيك" والذي كان مهتما بشتى فروع العلم والمعرفة، فهو قانوني بارع عضو برلمان يهتم بالعلوم الطبيعية وعلم الآثار، وكان من أرقى أفراد المجتمع الفرنسي، أنفق الكثير على البعثات العلمية التي سافرت إلى اليونان وقبرص وآسيا الصغرى وإفريقيا خاصة مصر وبلاد الحبشة.

تأتي بعد ذلك البعثة الفرنسية التي أرسلها لويس الثالث عشر ملك فرنسا إلى بلاد اليونان برئاسة العالم الفرنسي "لويس ديشاي"، والتي ظلت تعمل حتى عصر لويس الرابع عشر، ولعل أبرز الإسهامات الفرنسية في مجال الآثار تلك الرسومات التسجيلية النحت الجداري على معبد "البارثنون"، وإن كان لم يبق منها غير بعض الكروكيات، كما رسمت خرائط تسجيلية لمدينة أثينا .

وتبدأ تلك المسألة عندما كان عالم الأثار الفرنسي (Jacob Spon)، في القرن 17، والذي كان مولعا باقتناء العاديات والمتاجرة فيها، وقام برحلة إلى الشرق بمرافقة عالم إنجليزي يدعى "جورج ويلر" سجلا خلالها في رحلتهما، وكان عنوان كتابه "رحلة إلى إيطاليا ودل ماسيا واليونان والشرق".

وفي القرن 18 م و مع ظهور الثورة الصناعية ، تم اكتشاف حضارات أقدم من الحضارة الإغريقية والرومانية، وبدأ يتوسع مجال البحث الثري خاصة بعد اكتشاف مراحل ما قبل التاريخ وما رافقها من جدل حول أصل ظهور الإنسان والحيوانات المنقرضة، وتم إجراء العديد من الحفريات في كبريات المدن الأثرية، مثل بومبي بإيطاليا واتسع التنقيب بعدها لتشمل مناطق عديدة لبلاد الرافدين ومصر وغيرها.